



خديجة بنت خويلد

قدوة صالحة وسيرة عطرة

فضيلة الشيخ

عالي بن يحيى الخديجي

حفظه الله تعالى

المقال من الموقع الرسمي للشيخ

ويقول ميبناً بلوغها قمة في الكمال لم تبلغه من نساء العالمين إلا القليل ((كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكْمُل من النساء إلا مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم))⁵

وسمع مرة فيها بعض ما يكره بدافع الغيرة من بعض زوجاته بعد موتها بزمان، فهبّ مدافعاً عنها ذاكراً لجميلها، محيياً لبعض فضائلها ((صدقني إذ كذبني الناس، وآمنت بي إذ كفر بي الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، وكانت، وكانت.. وكان لي منها ولد))⁶

فرضي الله عن **خديجة**، وأخذ بنواصي نساء الإسلام ليتخذن منها قدوة وأسوة، وصلى الله وسلم على هذا النبي الوفي الكريم.

- 1- متفق عليه واللفظ للبخاري | صحيح البخاري: 3 | صحيح مسلم 160
- 2- متفق عليه | صحيح البخاري: 3820 | صحيح مسلم: 2432
- 3- متفق عليه واللفظ للبخاري | صحيح البخاري 3821 | صحيح مسلم 2437
- 4- متفق عليه واللفظ لمسلم | صحيح البخاري: 3815 | صحيح مسلم 2430
- 5- تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (4 / 67)
- 6- رواه البخاري والإمام أحمد بن حنبل بلفظين مختلفين | صحيح البخاري: 3818 | مسند أحمد: 24864.



مَشْرُوعُ الْفَرَاءِ السَّلَفِيَّةِ الدَّعْوِي

www.algharaa3.blogspot.com

ثم جاء ملك الموت فقبض روحها الطاهر، وحزن النبي ﷺ على فقدانها حزناً عظيماً، وحُقَّ له حيث فقد فيها الزوج الحنون، ورفيقة درب مدة ربع قرن، فقد العضد والنصير الداخلي الذي كان يخفف من أحزانه، ويمسح عنه غمومه، وما أكثرها علي النبي ﷺ في تلك الفترة حتى قال له ربه: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ**

نفسك} [الكهف 06]

أي لعلك مهلك نفسك حزناً على عدم إيمان قومك. مرّت السنون برسول الله ﷺ بعد موت خديجة، لكنه لم ينسها، لم يشغله عن ذكرها أعباء الدعوة، ولا هول الحروب، ولا الانشغال بتدبير بيوت عشر زوجات في وقت واحد، كان معها على غاية الوفاء، ومن صور وفائه إكرامه لصديقاتها، فما ذبح شاة إلا وأرسل إليهن إكراماً لذكرى **خديجة**. وجاءته مرة عجز ففهم لها وأقبل عليها، وأكرمها فتعجبت عائشة من هذه الحفاوة فقال ﷺ إنها صديقة **خديجة**.

وكان قلبه يخفق حين يفجؤه ما يذكره **بخديجة**. ها هي هالة بنت خويلد تستأذن عليه فجأة فسمع صوتها وذكر فيه صوت **خديجة** فهبّ قائماً وقال **((اللهم هالة اللهم هالة))**³ أي اللهم اجعلها هالة ويتزوج النبي ﷺ **خديجة** بتيجان لا تبليها الأيام، لقد جعلها ﷺ في مصاف مريم بنت عمران حيث يقول **((خير نساؤها-يعني الجنة-مريم بنت عمران، وخير نساؤها خديجة بنت خويلد))**⁴

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها اسمٌ يتلأأ في تاريخ الإسلام كما يتلأأ القمر ليلة البدر في أفق السماء.

خديجة بنت خويلد رمز الوفاء والصدق، والحكمة والعقل، والصبر والثبات.

تزوجت برسول الله ﷺ فكانت نعم الزوج لزوجها، ملأت عليه كل حياته، إذ كانت دائمة المبادرة إلى مرضاته، لا ترى له رغبة في شيء إلا وأسهرت بما يعينه على تحقيقها، رأت إعجابه بغلامها زيد بن حارثة فوهيته له، رأت تعلق قلبه بالخلوة في غار حراء الليالي الطويلة قبيل البعثة، فكانت تهيئ له الزاد وترسل معه من يقوم برعايته دون أن يفسد خلوته، تفعل ذلك بنفس راضية، مع أنّ في خلوته بعيداً عنها إضراراً بها، فالزوجة تحبّ قرب زوجها منها، ولا سيّما حين يرخي الليل سدوله، لتأنس به، وتطمئن إليه.

وجاء الملك فجأة ونزل برسول الله ﷺ، فظنه الموت أو الجنون أو إحدى الدواهي العظيمة، فرجع إلى بيته مسرعاً، هلعاً، خائفاً، تلقته **خديجة** وهو على ذلك الحال من الفزع فما كان موقفها؟ هل وجدتّها فرصة للتشفي والانتقام من هذا الزوج كثير البيات خارج المنزل؟ من هذا الزوج المشغل عن زوجته وبيته وبناته بتأملاته؟ أليس هذا ما ستفعله عامة النساء لو كنّ في مكان **خديجة**؟ أمّا **خديجة** فكانت طرازاً آخر من النساء لا تشبههن في نقصهن، ولا يشبهنها في كمالتها.

كانت تنظر بعين بعيدة المدى، واسعة الأفق. كانت ذات صفاء نفسي، وشفافية بالغة، كأتمّما تنظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، كانت واثقة من زوجها وصواب تصرفاته، تنتبأ له نبأ عظيم، فأدركت سريعاً أنّ عليها أن تحسم الأمر بسرعة، أن عليها مهمة عظيمة، وهي طمأنة زوجها، وتسكينه، وتهدئة روعه، فقالت مستدلة بالماضي على المستقبل:

((كَلَّا وَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَنَصَلَ الرَّحْمِ، وَتَحْمِلَ الْكَلَّ، وَتَكْسِبَ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِيَ الضَّيْفَ، وَتَعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ))¹

لم تكتفِ بذلك، بل أخذت بيده وذهبت به إلى عالم مكة بالكتاب الأول، إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، فقصّ عليه خبره، فقام ورقة وقبّل رأس محمد ﷺ وبشره أنّه نبي هذه الأمة.

وجاءت الرسالة، وأخذ ﷺ يدعو قومه إلى عبادة الله وحده فطاشت أكبر العقول، وأذكأها. لكن **خديجة** بادرت إلى الإيمان فكانت أوّل من آمن. صدقت به حين كذبه الناس، وآمنت به حين كفر به الناس.

وانطلق الرسول ﷺ ماضياً في دعوته قد أخذت عليه كلّ همّة، لا يفتأ عنها ليلاً ولا نهاراً. وزوجه **خديجة** إلى جواره شائخة شموخ جبال مكة السماء، لا ترزعزعا الأهوال، ولا يميل بها خوف ولا رجاء

وجاء الحصار الآثم الغاشم، حصار الشعب الذي استمر ثلاث سنوات، وتنتقل **خديجة** مع زوجها مع أنّها ليست من بني هاشم، وهي عجوز جاوزت ستين عاماً، قد شاب شعرها ووهن عظمها، وخارت قوتها، لكن إيمانها لا يزداد كل يوم إلا شباباً، وثباتها لا يزداد إلا صلابة. ها هي تبذل لرسول الله ﷺ كل ما تقدر، بذلت شبابها ولسانها ومالها وعمرها وكل شيء في سبيل مرضاة الله وفي سبيل إتمام النبي ﷺ مسيرة دعوته.

انتهى الحصار الغاشم ولكن بدأت رحلتها مع المرض مرض الموت، وتأتيها البشارة من ربها قبل موتها كالجوائز التي تمنح للعظماء في أواخر أدوارهم. هذا جبريل عليه السلام يبلغها على لسان رسول الله ﷺ السلام من الله، والسلام منه، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب-أي من ذهب-لا **صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ²** بيت من ذهب، لا صَحْبَ فِيهِ وَلَا ضَجِيجٍ مَقَابِلَ ما تحمّله من صخب المشركين والمستهزئين من رجال قريش ونسائها.

وميزة أخرى في هذا القصر أن لا نصب عليها فيه، راحة تامّة مقابل ما تعبت في أيامها الخالية، لقد شاركت رسول الدعوة فدفعت ثمن شراكتها كثيراً من الجهد والسهر والبذل والعطاء فعوضها ربها خير عوض.